

تأملات في ألحان الصوم الكبير

"تي هيريني"
تأليف : جورج كيرلس

مرد للإنجيل معناه "سلام الله الذي يفوق كل عقل، يحل في قلوبكم بالمسيح يسوع ربنا".

هذا اللحن وضعته الكنيسة ليكون نموذجاً "لنفسك النغمي" فهو لحن قليل النغمات له صورة "الزهد الإيقاعي" فأشكاله الإيقاعية أيضاً بسيطة للغاية يمكن لأي طفل أن ينقرها بأصبعه وهولحن "متكشف" لا يحوي أية تغيرات مقامية ولا إيقاعية. وكأن الكنيسة تعلم أولادها النسخ والزهد والتكشف ليس في الطعام فقط ولكن من خلال موسيقاها الروحية.

- فلك أن تتعجب أنه بالرغم من أن مطلع كلمات اللحن هي "سلام الله الذي يفوق كل عقل" والذي عبرت عنه الكنيسة في لحن "أبورو أنتي تي هيريني" بنغمات حادة سريعة مركبة تحلق في سماء الروح بطبقات موسيقية مرتفعة وبتحولات مقامية عبقرية، ذات الكنيسة الآن تعبر عن نفس السلام بلحن صارم نغماته قليلة منقطعة في حدة، متمركزة في منطقة وسطى ليست بالحادة ولا بالغلظة.

- إذا قارنت بين هذا اللحن "تي هيريني" وهو مرداً للإنجيل في الصوم الكبير وبين "أوسيو أفشاي" وهو مرد إنجيل ليلة عيد الميلاد فبالرغم من أن كلاهما يتم الترنم به بعد قراءة الإنجيل، إلا أنك تجد أن مرد إنجيل الميلاد "أوسيو أفشاي" له طابع مختلف تماماً، فهو يعبر عن المعنى "نجم أشرق في المشارق والمجوس تبعوه" لذلك فهو "يرفع القلب" إلى فوق حيث النجم الذي أشرق، أما لحن "تي هيريني" فهو "يأخذ الجسد لأسفل" ليعلمه كيف ينحني ويضرب مطانية سجوداً وتذلاً للإله الخالق.

لذا كان من البديهي أن الجزء الثاني من اللحن والذي يبدأ بكلمة أي ايرنوفي" -ومعناه"أخطأت أخطأت يا ربي يسوع المسيح اغفر لي..لأنه ليس عبد بلا خطيئة ولا سيد بلا غفران"- يكون له نفس الصياغة اللحنية التي للجزء الأول، ليس فقط من باب التمسك بمبدأ "التكشف الموسيقي" و "النسخ النغمي" وإنما لأن الجملة الإنشائية "أخطأت أخطأت" هي الأخرى جديرة بأن يكون لحنها ممتلئاً إنسحاقاً وخضوعاً، فمن هذا الذي يستطيع أن يقول

"أخطأت أخطأت يا ربي" بصوت صдах جهوري إذ سيبدو بذلك وكأنه متباهي بخطاياها، لذا كان من المناسب أن يكون لحن "إير إرنوفي" "أخطأت" به مسحة من التذلل التي تعبر عن كلمات اللحن من جهة وعن الجو الصيامي الذي يقال فيه اللحن من جهة أخرى.
إن الكنيسة تقدر الصوم وتنادي بإعتكاف ليس في قراءتها فقط ولكن في ألحانها أيضاً.